

نافذة

أحمد شوقي بين زمنين

شوقي من أعلى علامات الحب، فهو الذي ما عرف سواه لأحبابه والناس، ناله ظلم كبير من الجهلة الذين يقرؤون شعره من منطلقاتهم الفكرية الخاصة أو حكموا عليه من واقعهم، فقد تجاهلوا الظروف التاريخية والموضوعية التي عاشها أحمد شوقي، ولعلمهم غفلا عن أن ما يأخذونه عليه هو مرتبة من مراتب الحب عنده، فشوقي ذو الأصول غير العربية عاش في القصر وتربى فيه، وقد كان محباً ومخلصاً للقصر الذي نشأ وأعطاه حتى رضي! أما تذكر الكتب أن جدته قالت للخديوي عندما لفت انتباهه شرود الرضيع وبقاء نظره معلقاً بالأعلى، انثر له الذهب الأصفر على الأرض حتى ينظر إليها، ففعل الخديوي، وانجذب شوقي إلى لعان الحب وبقي ينعم به، وبخيرات القصر رديحاً طويلاً من الزمن!.. كان من الطبيعي أن يعطينا شوقي نموذجاً في الحب لصاحب الفضل، فكان شاعراً للقصر كما يصفه الدارسون، لكنه لم يكن شاعراً للإنكليز، فهو شاعر لا يعرف سوى القصر وجدرانها، لذلك أعطاه شعره، وكان كالمثني الذي في مدينته تفوق على التفوق، واستطاع أن يكون شاعراً من المرتبة الأولى.. شوقي لم يكن مصرياً بالجذور، لكننا عندما نقرأ شعره فإننا نستقف بلا شك عند خصيصة الحب الكبرى، فهو الذي انتمى إلى مصر وإلى الحضارة المصرية العريقة، فوقف عند تاريخها وآثارها وكل ما فيها ليلخل الأوابد وتوت عنخ آمون وسواه من الفراعنة الذين بنوا الحضارة المصرية القديمة، ولأن شوقي شاعر عظيم فقد استطاع أن يبرع في تقديم الفكرة والصورة الشعرية بطرائق متفوقة لم تستطع غير العقاد والمزاني في الديوان أن تؤثر فيهما، واكتشف القارئ الحصيف أن كل ما جاء به العقاد والمزاني ناتج عن غيره واختلاق وافتراضات. وقد قدم كثير من النقاد حافظ إبراهيم عليه، ومنهم طه حسين، لأن حافظ إبراهيم كان أقرب إلى العامة من شوقي، وصاحب منبت طريقي يمثالهم، وقد كانوا معزولين لأن الفكرة سيطرت عليهم أكثر من الشعر والشاعرية، والدليل على سلامة نيات الكثيرين أننا وبسبب المناهج والأحزاب والإيديولوجيات كنا في مرحلتنا الأولى ننقم على كل صاحب مال! بل إن عدداً من أصحابنا ينتمون إلى أسر ميسورة، كانوا يجدون حرجاً بهذا الانتماء لكثرة ما تم ضعه في الأذهان وبقي الأمر كذلك عند ناقدتي شوقي حتى التقفوا إلى الشاعرية والصورة، وبقي عندنا حتى اكتشفنا أن كل ما تم ضعه في أذهاننا ضد المال وأصحابه الحقيقيين كان وهماً، والذين علمونا ذلك أخذوا مكانة الأغنياء القدامى، وصاروا أكثر تحكماً، وشتان ما بين مال أصيل مكتسب ومال منهب كان إثراء ظفرة وغير مشروع!

المهم أن أولئك كانوا يفضلون حافظ إبراهيم، بينما كان شوقي يأتي به ويصلي الجارم وسواهما إلى دارته في كريمة ابن هاني، فيفوقن في ضيافته وعلى مائدته، ولم يحقد عليهم، ولم تتغير معاملته لأي شخص منهم، سواء في الاستضافة أو اللقاة أو الصرف عليهم، وهو وحده الميسور القادر على إشباعهم أو حين مات حافظ إبراهيم قبل شوقي بمدد رثاه شوقي بحب كبير، وأصفه في إظهار مقدار براعته في ميدان الرثاء وتعداد المناقب:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء وحده الحب عند شوقي هو الذي دفعه لرثاء حافظ، وللإشادة بتميزه في إصناف الأصدقاء الراحين، كل الذين يكوا حافظاً لم يصلنا شعرهم فيه، وحده بيت شوقي كان خالداً لأن منبعه الحب لا المجاملة ومصدره الذات التي طبعها الحب بطابعه، فأرادت أن تكون للحب علامة.

وحين ضغط الإنجليز على شوقي والخديوي نفي شوقي إلى إسبانيا، غادر شاعر القصر المخلص له القصر أول مرة في حياته، الشاعر الذي نال من أحمد عرابي وهزيمته في معركة التل الكبير من أجل القصر وقال لعرابي:

أهذا كل شأنك يا عرابي
نفسه هذا الشاعر صار خارج القصر ويعيداً عن قصره، وهنا تجلت مراتب الحب الكبرى، فالشاعر الذي أحب العربية استطاع في غربته ومنفاه أن يستعرض كل ما لدى العرب، وأن يستخلص لهم شيئاً مما يفقدونه، وأن يعود لهم بالمسرح الفني الناضج والمكتمل، سواء كان هذا المسرح شعرياً أم نثرياً، وكان أول من أدخل هذا الفن العظيم إلى الأدب العربي، واستأثرت موضوعات مصر والعرب باهتمامه وذاقته.

وحين عاد من منفاه كانت مفاجأة الكبرى، حيث كانت مصر كلها في استقباله، العامة هرعوا إلى شوقي لأنه شاعرهم، حضرت مصر والعربية وغاب القصر واللوك، فكانت لحظة الحب والدهشة في حياته، ورأى الإنسان ومأسيه، طاف على الشام وجراحها:

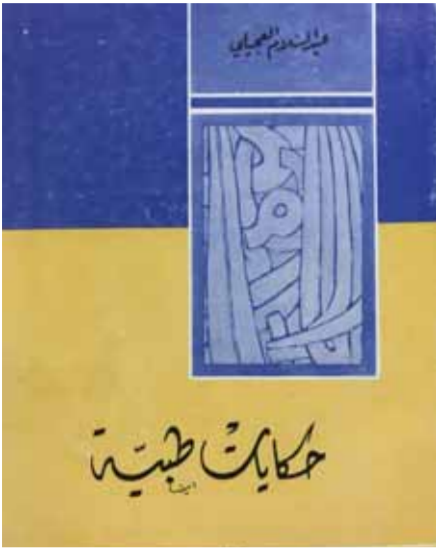
سلام من صبا بردي أرق
دمع لا يكفك يا دمشق
دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم أنه نور وحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يندق
وللمستعمرين وإن الأنا
قلوب كالحجارة لا ترق
سلي من راع عديك بعد ومن
أبين قواده والصخر فرق؟
وبي مमारمتك به الليالي
جراحات لها في القلب عمق
صار مصاب الإنسان العادي مصاب شوقي، وصار يتألم بالحب لما يحصل مع الإنسان المظلوم، وينحاز إليه لأنه اكتشف جوهر الحب وعمقه، فقد كان الحب في الجموع التي تدافعت لتحمل شوقي، وفي العرب الذين تنادوا لاختياره أميراً للشعر العربي، فكان الأمير الأول والوحيد، لا أمير قبله ولا أمير بعده، له الإمارة والحب، وبغيره الاقتتال على الوصول إلى ما يمتحنه الناس!

رأى عمر المختار، وهاله ما حصل فانحاز إلى الثورة: ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويجهم نصوا مناراً من دم
يوحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد
بين الشعوب مودة وإخاء
كل هم شوقي كان في الحب والود والإخاء، وكان مثله الأعلى في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، لذلك عارض البوصيري في برده وتفوق عليه صورة وشعراً وسلاسة، وحبه للثني جعله يقدم ما عجز عنه الآخرون لأنه قدم ما قدم بالحب وحده، وعرف مقدار ذاته:

أبا الزهراء قد جاوزت قدي
بمدحك بيد أن لي انتسابا
مدحت المالكين فزيت قدراً
وحيث مدحتك اجزت السحابا
وأحب الطفل فكان أول شاعر يعطي الطفل شعراً وحباً، لأنه شوقي الحب الكبير أحبه الناس جميعاً سواء كان للقصر أم لقسايا الناس وبقيت قافية حبه مشدودة على وتر روحه، فحلقت وصحبت معها إمارة الشعر.

إسماعيل مروة

من «بنت الساحرة»، قدم العجيلي مثال التجديد الذي حافظ عليه حتى آخر أعماله



إسماء صبري

شهد النصف الأول من القرن العشرين سلسلة من التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية انعكست على عالم الأدب فبدأ مفهوم الأدب الحديث ينتشر في الأدب العربي بعد التلاقح الذي حصل أثناء البعثات الدراسية إلى أوروبا التي أدت إلى ازدهار حركة الترجمة والتعريب بما فيها من تأثير وتأثير فشهدنا أنواعاً أدبية جديدة في شكل الأدب ومضمونه كالرواية والقصة والمقالة والشعر النثري، وبطور الصناعة والتجارة في المدن الكبرى في منطقتنا السورية تبلورت طبقة اجتماعية جديدة كانت تمثل العصب الأساسي للتغيير الاجتماعي في تلك الفترة ما انعكس على الأدب الذي كان ولم يزل مرآة للواقع السياسي والفكري والاجتماعي برز جيل جديد من الأدباء الذين امتازوا بثقافتهم المصرية الجديدة فساهموا في تشكيل الحركة الأدبية العربية الحديثة أمثال الأديب سعيد حورانية والأديب حسيب كيالي والأديب الطبيب عبد السلام العجيلي الذي ولد في مدينة الرقة السورية عام ألف وتسعمئة وثمانية عشر من القرن الماضي، وكان فرداً من عائلة كانت أول من استقر في بيوت حجرية وهجرت حياة الرعاة وانصرفت إلى الزراعة.

تميزت عائلة العجيلي بكثرة متعلميها مجتمع تسوده الأمة حتى إن العجيلي كان يقرأ ما يقارب المئة كتاب كل عام، قام والده ببيع قطعة أرض بجانب الفرات ليسمح لابنه باستكمال تعليمه، فدرس العجيلي في دمشق وتابع نشاطه السياسي الطلابي مشاركاً في التظاهرات ضد سلطات الانتداب الفرنسي. عاد العجيلي إلى مدينته الرقة بعد تخرجه طبياً في الجامعة السورية وأثناء عيادته الخاصة ليزال مهتمته الإنسانية محققاً ما كان يصبو إليه منذ صغره إذ كان يقول: (عندما أكبر أريد أن أعمل ما أستطيع أن أخفف به آلام كل مريض، أريد أن أصبح طبيباً). ورغم تحقيقه لطموحه العلمي إلا أن الحياة السياسية استمانته فشارك في الانتخابات النيابية وفاز بمقعد نيابي في المجلس النيابي السوري ممثلاً عن مدينة عنقفة الأزلي مدينته الرقة السورية، كان ذلك في مرحلة سياسية مفصلية قضت بتقسيم فلسطين فما كان من نائب مدينة الرقة إلا الانضمام إلى جيش التحرير الفلسطيني، تجربة تضالته فعالة دونها العجيلي في كتابه (فلسطينيات) يقول في ذلك: (من سوء الحظ ذلك أن سير أمورنا القومية منذ عام ثمانية وأربعين وحتى اليوم جاء مؤيدا لتقديراتي السبئية عن وضعنا وإمكانياتنا، تلك التقديرات التي وضعتها لنفسي منذ

ذلك الحين).

أما علاقته بالإبداع فتعود إلى عهده بفاعته الأولى حيث بدأ بكتابة قصص بوليسية مدفوعاً بولعه بهذا النوع من القصص، ومن ثم مال إلى كتابة مذكراته الشخصية متأثراً بما قرأه للأدب الألماني غوته في الأم فترت. كما كتب العجيلي القصائد المفاة وغناها على أحيان بعض القصائد الدينية مما يحفظ لحي يستقيم وزنها. ظلت الكتابة سرا من أسرار العجيلي حتى حصل على الشهادة الثانوية فنشر عام ستة وثلاثين قصة الأولى (نومان) بتوقيع ع، ع في مجلة الرسالة المصرية المرموقة.

كذلك نشر قصصاً وقصائد وتعليقات في مجلة المكشوف اللبنانية في سواها من الدوريات الدمشقية، بأسماء مستعارة إلى أن كشف السر سعيد الجزائري، فاز بعد ذلك الأديب والطبيب عبد السلام العجيلي بجائزة مسابقة القصة التي نظمها مجلة الصباح عن قصة (حفتة من دماء). ثم أصدر مجموعته القصصية الأولى (بنت الساحرة) التي كانت مقلداً للتجديد في الأدب والكلاسيكية الجديدة، فكانت قصة أدبية علمية استطاع العجيلي أن يجمع بها بين اللغة القصصية والبيانات العلمية وفيها يقول العجيلي في حوار له مع صديقي إسماعيل: (كنت شديد الالتزام لفكرة علمية معينة فكان جهدي في قصصي تلك أن أبين ضعف الفعل وقدرة العلم في إدراك خفايا النفس).

نظم العجيلي بعد ذلك عدد من الكتاب نظراً عنده المسرحية والقامة والشعر وأبدع في الشعر الوجداني والرومانسي اللذان تجل في ديوان الليل والنجوم، وأجاد في القصيدة التي رثى بها ابنه مهذب ورغم ذلك الحزن الشفيف الذي تداعى في شعر

العجيلي عدة مجموعات قصصية فكانت المجموعة القصصية (ساعة الملازم) و(قناديل اشبيلية)، و(الخيل والنساء)، وظلت تتوالى أعماله القصصية العجيلي الشعر وأعد جزءاً من المنولوج الذاتي. يقول: (إنني مذ نزلت الشعر كنت أحس بأن هذا الذي أنظمه همسات بيني وبين نفسي).

اعتبرت أعمال العجيلي الأدبية من أهم ما كتب في الأدب العربي الحديث فترجم بعض منها إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والروسية، ودرس العديد منها في المدارس والجامعات يستحق أن يكون من أساتذة الرواية الكلاسيكية). عدد من الكتاب الأوروبيين أمثال الفرنسي (جان غوليميه): إذ قال: (غوته، سانتدال، وفلوبير.

أسماء أعلام في الأدب مشهورة وعبد السلام العجيلي كانت مفعمة بطاقة الحياة فكان الابن والزوج والأب والطبيب والأديب والرسام والكواشي والسياسي والوزير الذي لم تستلبه أوضاع الحياة الثرية والأفغان والنجومية من عشقه الأزلي لمسقط رأسه الرقة التي عاش بها عاشقاً لها ووارثاً لثقافتها بامتياز رقاوي شعبي كما كانت وصيته، فكان عبد السلام العجيلي قمرًا مدينته سورية غافية على ضفاف الفرات، وكان كما وصفه أوديس (قمر الرقة بنام على مخدة الفرات)، تودس العجيلي رمال مدينته الرقة التي طالما عشقها وارتقى أيقونته إلى سماننا السورية مسلماً روحه العذبة إلى ياربها في الخامس من نيسان عام ألفين وستة بعد مسيرة عامرة اختصرت الأدب والعلم، الحب والحزن، الطرافة والسياسة، في حياة أديب سوري من طراز رفيع.

«أزهار الأقحوان» قصة من الأدب الروسي المعاصر

هزوان الوز يترجم نصوصاً من عباءة السوفيت وأخرى بهموم الإنسان الروسي ورهافته



المترجم هزوان الوز

ولكن عندما جمعهما في نهاية المطاف بيت واحد تبين لها أن الميسر الوحيد هنا بلا منازع هو سيريوجا. لم يعد بمقدورها الجلوس وحدهما إلى المائدة لشرب الشاي، إذ لا بد من إجلال سيريوجا قبالتها لئلا يغضب، مع أن مثل هذه التفاصيل الدقيقة من الواضح أنها تفوق مستوى إبداعه، وكانت تضطر إلى أن تبقى نظرها مثبتاً على فنجانها كي لا ترى كيف يخرج من فمه الطعام الذي لم يكتمل مضغاً، وكيف يستخرج له ابوه الحنون بسياحة الطعام الموضوغ من فمه، وتبين لها أن لقب «السليحقة» قد صيغ لإطلاقه على سيريوجا البطيء في سيره.

حلية أيقونة الجدة

وفي قصة المؤلفة مارينا فيشنيستسكايا تبين أن: «من محاسن كاتيا أنها لا تقيم هنا سوى أربعة أيام من أصل سبعة، وتدفع أجرة السكن في الموعد المحدد، ولا تستقبل ضيوفاً، ولا تعد طعاماً، ولا تتدخل في أحاديث الآخرين، ولا تطعم الفطة مما على المائدة، ولكن لو سألوها ليديا بوريسوفنا إذا كانت هذه المستأجرة تضايقها كثيراً لبدأت من أن كاتيا هذه لا تطعم الفطة من أكلها على

مظهر

الأهوات غالباً ما يشي بأنهن يعانين متاعب ليست بالقليلة

هل يزعجك جلوسي هنا؟

قالت هذا وجلست قربي برشاقة عصفورة تكاد تستعد لترقرق بجناحيها وتطير من جديد.

كانت التقت أمير أحلامها بعد أن أدمنت النظر إلى الحب بوصفه خرافة جميلة، وعندما كان صديقها يرتدي سرواله الداخلي بعد لقاءاتها النادرة والمتعجلة كان يبدو لها بصورة فارس في سلاح الخيالة يرتدي بنطاله المنسوج من جلد الأيل، وبصورة صبي صغير يرتدي ثيابه الداخلية.

أما رأسه المنصخر، فكانت تراه هالة من النور والقداسة، يتحدث بحنان غير متناه عن ابنه المتخلف عقلياً، القابع في البيت طوال الوقت تحت أشرف جدته لم تحصل أمه العيش مع طفل بائس، أما أبوه فقد احتمل.

وهي ما أفكت تحلم بأن تثبت له أنها ليست حقيرة كزوجته السابقة، وأنها جديرة بأن تصبح شريكة حياة أنبل رجل في العالم، بيد أن لقب التتليل الذي كافأها به بدا لها غريباً بعض الشيء: «سليحقاتي»، فهي تتصور نفسها أشبه بالعصفورة.



إسماء سلامة

ضمن «المشروع الوطني للترجمة» يطلق الدكتور هزوان الوز كتاباً يضم نصوصاً قصصية بعنوان (أزهار الأقحوان. قصص من الأدب الروسي المعاصر)، من ترجمته وتأليف مجموعة من المؤلفين الروس، الكتاب الذي صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب في ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط. يتضمن ثمانية قصص منها (أم بالنتي- أزهار الأقحوان- طرفة عادية - أنت

قادر- الفكر غير ممكن). ليضيء لنا عوالم إنسانية روسية المرجع والدلالة، وهي على المستوى الأول صور عالية الدقة أو تكاد تكون كذلك عن المجتمع الروسي في السنوات الأخيرة من القرن الفائت. ومن هذا القرن، وهي على المستوى الثاني تعني هذا المجتمع كما خرج من عباءة الاتحاد السوفيتي وكما هو في راهته، وعلى نحو دال على تعبير هذه النصوص عن بشر يزدحمون برهافتهم الإنسانية العميقة مهما يكن من أمر لكونهم ينتمون إلى عالم مغاير للقيم التي نشأت عليها المجتمعات العربية.

وإذا كان ثمة ما يمكن قوله أخيراً فهو ما تقوله هذه النصوص نفسها، وما يمكن أن يقدم معرفة عن تطور الكتابة القصصية في روسيا وعن تحولاتها ومغايراتها بأن، وهو ما تلمح إليه هذه الترجمات لها. أعني أن تضاعف جانيب: اجتماعياً وفنياً. وبين الدكتور الوز أنه «وبحسب مقدمة